بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين ، واللعن الدائم المؤبد على أعدائهم أجمعين ، من الآن إلى قيام يوم الدين .

تمهيد :

يمثّل المنبر الحسيني إحدى أهم المنصّات الدينية والثقافية في حياة الأمة، فهو ليس مجرد وسيلة للتذكير بالمأساة الكبرى التي وقعت في كربلاء، ولا هو منبر للعاطفة والرثاء فحسب، بل هو أداة فعّالة في الهداية وبناء الوعي وصيانة الهوية الدينية والفكرية للأمة. ومن هنا، فإنّ الخطاب المنبري يتحمّل مسؤوليةً عظيمة في أن يعكس تعاليم الإسلام في أبعادها المتنوعة، وأن يكون صوتًا ناطقًا بقيم السماء في حياة الناس.

وفي هذا الإطار، يأتي القرآن الكريم مع العترة الطاهرة بوصفهما المصدرين الأعلى للهداية، أخذاً بوصية النبي صلى الله عليه وآله: «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً». فالمنبر الحسيني، إذا ما أراد أن يحقق رسالته الإصلاحية، يجب أن يتكئ على هذين الثقلين معًا، وأن يجعل من تعاليمهما أساسًا في بناء خطابه ومضمونه وأهدافه.

إنّ الحضور القرآني والروائي في المنبر لا يُعدّ ترفًا معرفيًّا، بل هو ضرورة رسالية تحفظ المنبر من الانحراف والسطحية، وتمنحه عمقه الإيماني والرسالي، وتجعل خطابه أكثر كمالًا وتأثيرًا في النفوس. ومن دون هذا الحضور المزدوج، قد يتحوّل المنبر إلى خطابٍ تقليديٍّ يفتقر إلى الروح الهادية التي أرادها الله تعالى.

⚫المبحث الأول: القرآن الكريم ومنهج الهداية

أولًا: القرآن كتاب الهداية الإلهيّة

أشار العلّامة الطباطبائي (رضوان الله عليه) إلى أنّ جميع المعارف التي يتضمّنها القرآن – من العقيدة والأخلاق والأحكام والقصص وغيرها – إنّما تُقصد بها الهداية، وأنّها مترابطة فيما بينها لتحقيق هذا الهدف الأسمى ، وعليه فإنّ كلّ تفسيرٍ أو قراءةٍ للقرآن تنفصل عن غايته الهادية تبتعد عن روحه الأصيلة (الميزان، ج1، ص35).

قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (إبراهيم: 1).

ثانيًا: المنبر امتدادٌ عمليٌّ للهداية القرآنيّة

إذا كان القرآن قد نزل ليقود الإنسان إلى الهداية، فإنّ المنبر الحسيني يمثّل الامتداد الطبيعيّ لهذه القيادة في الواقع الاجتماعيّ والثقافيّ. إنّه لسان الوحي في حياة الناس اليوميّة، وصوت الرسالة في مجتمعاتهم، ووسيلة إحياء مبادئ الإسلام في ضمائرهم.

ثالثًا: الغاية المشتركة بين القرآن والمنبر

إنّ أعظم ما يجمع بين القرآن والمنبر الحسيني هو اشتراكهما في الغاية: بناء الإنسان الصالح والمجتمع الواعي. فالقرآن يوجّه خطابه إلى الإنسان ليقوّم عقيدته، ويهذّب سلوكه، ويرشده إلى طريق الفلاح، والمنبر الحسيني يترجم هذا الخطاب الإلهي إلى لغة واقعيّة قريبة من الناس، ويُنزله من مستوى النظريّة إلى مستوى الممارسة. فهو لا يقتصر على التذكير بفضائل الإمام الحسين (عليه السلام) ومظلوميّته، بل يجعل من نهضته مدرسةً لبناء الضمير الإنساني على أساس القيم القرآنيّة الكبرى: كالعدل، والحرّية، والكرامة، والصبر، والجهاد في سبيل الله.

● المبحث الثاني: العلاقة بين القرآن والمنبر الحسيني

أولًا: علاقة تبعيّة وتفعيل

المنبر الحسيني في جوهره تابعٌ للقرآن الكريم ومأمورٌ بأن يكون صوته الناطق في حياة الناس. فكما أنّ القرآن هو مصدر الهداية الإلهيّة، فإنّ المنبر أداةٌ من أدوات تفعيل مبادئه وقناةٌ من قنوات التأصيل القرآني في المجتمعات الإيمانيّة.

إنّ من الخطأ أن يُنظَر إلى المنبر الحسيني بوصفه مجرّد وسيلةٍ لنقل النصوص القرآنية، كما أنّه خطأ أكبر أن يُفصَل عنه ويُترك ليعتمد على الرواية أو العاطفة وحدهما. إنّ المنبر، في حقيقته، امتدادٌ للقرآن ومظهرٌ من مظاهر خدمته وتطبيقه في الواقع.

فالقرآن يزوّد المنبر بالمضمون الإلهي، والمنبر يهبُ الآيات حياةً اجتماعيّةً وواقعيّة من خلال تحريكها في أوساط الناس .

والقرآن يحدّد الاتجاهات الكبرى للهداية، والمنبر يترجمها إلى خططٍ عمليّةٍ وبرامج تربويّةٍ تُهذّب الإنسان وتبني وعيه.

والقرآن يقدّم المفاهيم المجرّدة، والمنبر يجسّدها في النماذج الحيّة التي تتجلّى في نهضة الإمام الحسين عليه السلام ومواقفه.

وهكذا، فالمنبر الحسيني ليس مكمّلًا للقرآن بل خادمٌ له، يسير في ركابه ويستنير بهديه ليبقى اللسان الذي يشرح، والعقل الذي يفسّر، والقلب الذي يُفعّل تعاليم القرآن في حياة الأمّة.

ثانيًا: نحو حضور قرآنيّ جوهريّ

إنّ إدراك هذه الأسس المشتركة والغايات الموحدة يُحتّم على الخطباء والباحثين إعادة النظر في بنية الخطاب المنبري، ليكون القرآن الكريم محورًا أصيلًا في كلّ

مجلس. فلا يُذكر القرآن لمجرّد الاستشهاد أو التزيين البلاغي، بل يُعتمد عليه في بناء الفكرة، وصياغة المحور، وتحديد الهدف.

ثالثًا: القرآن والرواية جناحان متلازمان

من الضروريّ التأكيد أنّ الاعتماد على القرآن الكريم في الطرح المنبري لا يعني الاستغناء عن روايات أهل البيت (عليهم السلام)، إذ لا يمكن فهم القرآن على وجهه الصحيح ولا إدراك مراد الله الكامل منه إلّا في ضوء بيانهم وتفسيرهم. فالقرآن والسنّة صنوان لا يفترقان، والطرح المنبري لا يكتمل إلّا بحضورهما معًا.

رابعًا: العاطفة أصل لا غنى عنه

وفي الوقت نفسه، لا يصحّ أن يُفهم من الدعوة إلى الحضور القرآني والروائي أنّ العاطفة والدمعة والرثاء قد فقدت قيمتها أو جرى التهوين من شأنها، فهي الأصل في المنبر الحسيني، ولها آثار غيبيّة عظيمة تنعكس على روح المؤمن وولائه وصلاحه، غير أنّ توظيف القرآن والرواية يمنح الخطاب كمالًا وفاعليّةً أكبر، ويجعله أقدر على بناء الإنسان وتغيير الواقع.

● المبحث الثالث: تطوّر المنبر الحسيني وتوظيف آيات القرآن الكريم والنصوص الروائية المباركة وأثره في مواجهة التحديات

بعد أن تبيّنت لنا الغاية الكبرى التي تجمع بين القرآن الكريم والمنبر الحسيني في الهداية وبناء الوعي، فإنّ من الضروري الوقوف عند التطوّر التاريخي الذي شهده المنبر الحسيني عبر العصور، ورصد أهم التحوّلات التي مرّ بها وكيف أسهمت في توظيف النصوص العليا في خطابه، وما ترتّب على ذلك من أثرٍ عميق في قدرته على مواجهة التحديات الفكرية والاجتماعية.

أولًا: مراحل تطوّر المنبر الحسيني

مرَّ المنبر الحسيني – بوصفه أداةً دعوية وثقافية وإصلاحية – بعدّة مراحل تاريخية تطوّر فيها شكله ومضمونه ووظيفته، حتى بلغ ما هو عليه اليوم من عمق وتأثير. ويمكن إجمال هذه المراحل في أربع مراحل أساسية:

1. مرحلة التأسيس (من سنة 61هـ إلى نهاية الغيبة الصغرى)

في هذه المرحلة الأولى، كان المنبر بسيطًا ومحدودًا في نطاقه؛ تُقام المجالس في بيوت الأئمة وأصحابهم سرًّا أو في دوائر ضيّقة من المؤمنين، وكان الهدف الأساس منها إحياء ذكرى الإمام الحسين (عليه السلام)، واستذكار مظلوميته، وإبقاء الحادثة حيّة في وجدان الأمة.

غلب على هذا الطور الطابع العاطفي السردي؛ فالمجلس يُبنى على رواية الواقعة والبكاء وإثارة المشاعر، مع حضورٍ محدود للجانب الفكري أو التحليلي.

2. مرحلة البروز والعلنية (من القرن الرابع الهجري)

مع قيام بعض الدول الشيعية – كالدولة البويهية – انتقل المنبر الحسيني من نطاقه المحدود إلى المجال العام، وأصبحت المآتم تُقام في المساجد والطرقات، وأضحى يوم عاشوراء مناسبةً علنية ذات مظاهر اجتماعية وسياسية.

في هذه المرحلة بدأ المنبر يتجاوز الوظيفة العاطفية البحتة إلى توظيف الواقعة الحسينية في تعزيز الهوية والوعي الجمعي، وإن ظل الطابع الغالب عليه هو الوعظ التقليدي.

3. مرحلة الركود (عصور الضعف والانحطاط)

مع تراجع نفوذ الدول الشيعية وسقوط بغداد بيد المغول، شهد المنبر مرحلة ركود وتراجع، غلب فيها الطابع التقليدي والبعد المأساوي، وتضاءل الدور التوعوي والثقافي.

في هذه المرحلة انحسر توظيف القرآن الكريم والحديث الشريف و«نهج البلاغة»، وأصبح المجلس يعتمد أساسًا على الرثاء والقصص، مع حضور بسيط للعناصر الفكرية.

4. مرحلة النهضة والتجديد (العصر الحديث)

منذ أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، شهد المنبر الحسيني تحوّلًا جوهريًّا، إذ ظهرت نخبة من الخطباء الذين سعوا إلى الجمع بين العاطفة والفكر، وإلى تحويل المجلس إلى منبرٍ للإصلاح والتثقيف الاجتماعي والديني.

في هذه المرحلة برزت أسماء مثل الشيخ كاظم السبتي والشيخ أحمد الوائلي، اللذين مثّلا نقطتين فاصلتين في مسار تطوّر المنبر، من خلال إدخال نهج البلاغة والقرآن الكريم في صميم بنائه.

ثانيًا: توظيف «نهج البلاغة» في المنبر الحسيني – مدرسة الشيخ كاظم السبتي

يُعدّ الشيخ كاظم السبتي (رضوان الله عليه) من أبرز الروّاد الذين أحدثوا نقلة نوعية في مسار المنبر الحسيني، وذلك بإدخاله نصوص «نهج البلاغة» إلى صلب الخطاب الحسيني. فقد تجاوز الأسلوب التقليدي الذي يقتصر على القصائد والروايات والقصص، إلى خطابٍ يقوم على تحليل النصوص العلوية وبناء المجلس حولها.

ملامح تجربته:

1. الافتتاح بالنصّ العلوي: كان يبدأ مجلسه بعد القصيدة بقراءة نصٍّ مختارٍ من خطب أو كلمات الإمام علي (عليه السلام).

2. الشرح والتحليل: يقوم بشرح النص شرحًا بلاغيًا وفكريًا عميقًا، ويُبرز معانيه التربوية والاجتماعية والسياسية.

3. استخراج القيم: يستنبط من النص قيمًا كبرى كالعدالة، والوعي السياسي، والزهد، والجهاد، ويجعلها محاور للحديث.

٤. الإسقاط على الواقع الحسيني: يربط هذه القيم بسلوك الإمام الحسين (ع) ونهضته، فيُظهر كربلاء بوصفها التطبيق العملي لفكر الإمام علي (ع).

ومن المهم الإشارة إلى أن الشيخ كاظم السبتي كان يحفظ نهج البلاغة عن ظهر قلب، وهو ما منحه قدرةً استثنائية على الاستحضار والتحليل والربط، وجعل النص العلوي حاضرًا في ذهنه كأداة رئيسة لصياغة الخطاب.

لقد مثّل هذا الأسلوب قفزة في طبيعة المنبر الحسيني؛ إذ تحوّل المجلس من مجلس عاطفي صرف إلى منبر تربية وتبصير، ومن خطاب الوجدان إلى خطاب الفكر والرسالة.

ثالثًا: توظيف القرآن الكريم في المنبر الحسيني – مدرسة الشيخ أحمد الوائلي

إذا كان الشيخ كاظم السبتي قد فتح باب توظيف نهج البلاغة، فإن الشيخ أحمد الوائلي (رضوان الله عليه) يُعدّ المؤسس الحقيقي للمدرسة القرآنية في المنبر الحسيني. فقد جعل القرآن الكريم نقطة الارتكاز الأساسية في بناء المجلس، وأدخل أسلوبًا جديدًا في الطرح يرتكز على النصّ القرآني.

معالم تجربته:

1. الآية محور البحث: يبدأ مجلسه بآية قرآنية، لا بوصفها استهلالًا بلاغيًا، بل محورًا بنائيًا يدور حوله البحث.

2. المنهج التفسيري: يشرح الآية في سياقها اللغوي والتاريخي، ويحلّل مضامينها، ثم يربطها بالقضايا العقائدية والاجتماعية.

٣. الجسر إلى كربلاء: يُظهر من خلال تفسيره للآية كيف أن نهضة الحسين (ع) تجسيد عملي للقرآن الكريم في مواجهة الظلم والانحراف.

٤. التطبيق المعاصر: يتجاوز الحديث عن الماضي إلى إسقاط الآيات على الواقع، وربطها بتحديات الأمة المعاصرة.

5. الهيكل المنبري الجديد: يجعل من الآية نقطة انطلاق، ومن حولها تُبنى الروايات والشواهد والأمثلة، ليكون المجلس بناءً متماسكًا منسجمًا في كل عناصره.

وبهذا الأسلوب تحوّل القرآن الكريم في المنبر من نصٍّ يُذكر في المقدمة أو في الخاتمة إلى ركيزة معرفية تؤسس لفهم الواقع، وتكشف أبعاد النهضة الحسينية، وتقدّم خطابًا إصلاحيًا شاملًا.

وللإنصاف فقد برز عددٌ من الخطباء الذين أحسنوا توظيف الحضور القرآني في المنبر الحسيني، ومن أبرزهم السيد عدنان البكّاء. غير أنّ ما تفرّد به الشيخ أحمد الوائلي (رض) هو قدرته على تقديم الطرح القرآني بأسلوبٍ يجمع بين العمق والوضوح، فيخاطب مختلف شرائح الجمهور كلٌّ على قدر استيعابه، دون أن يفقد خطابه بُعده العلمي أو تأثيره الوجداني. أمّا السيد البكّاء، فكان خطابه القرآني أقرب إلى الأسلوب العلمي التحليلي الذي ينسجم مع ذائقة النخبة من المستمعين، وهو ما جعل حضوره أقلَّ شيوعًا بين عموم الناس مقارنةً بخطاب الشيخ الوائلي الذي امتاز بسعة الانتشار وعمق الأثر.

رابعًا: أثر التطوّر في المنبر الحسيني على مواجهة التحديات المعاصرة

لقد مكّن هذا التطوّر المنبر الحسيني من أن يكون قادرًا على مواكبة القضايا الفكرية والثقافية المعاصرة. فحين تُبنى المحاضرة على آيةٍ قرآنية وتحليلٍ موضوعي لها، تصبح أقدر على معالجة الإشكالات الفكرية الحديثة، وعلى الردّ على التيارات المادية والإلحادية، وعلى ترسيخ منظومة القيم الإسلامية في وعي المجتمع.

وهذا ما جعل كثيرًا من الخطباء يصفون المنبر الحسيني اليوم بأنّه «منبر قرآني» في جوهره، لا في مظاهره فحسب، وأنّ هذا الارتقاء في العلاقة بين المنبر والقرآن كان من أهم أسباب احتفاظ المنبر بدوره الإصلاحي والتربوي الفعّال حتى يومنا هذا.

وبهذا يظهر أنّ علاقة المنبر الحسيني بالقرآن الكريم لم تكن ثابتة جامدة، بل مرّت بمراحل من النموّ والنضج، حتى أصبح القرآن اليوم ليس فقط مادةً يستشهد بها الخطيب، بل منهجًا يبني عليه خطابه، وأداةً لتشكيل الوعي، وجسرًا بين قيم السماء ووقائع التاريخ.

⚫ المبحث الرابع: القرآن والإمام الحسين عليه السلام – علاقة تطابق وتجسيد

إنّ العلاقة بين القرآن الكريم والإمام الحسين عليه السلام لا تقف عند حدود التأييد أو التناظر، بل تتجاوزها إلى مستوى التطابق والتجسيد؛ فالقرآن هو كلام الله المكتوب، والحسين عليه السلام هو القرآن الناطق، وكلاهما ميزان للهداية، ومنار للحق، وباب للخلاص. وفيما يلي عرضٌ تفصيليٌّ لأوجه هذا التطابق في المعاني والمقاصد:

أولًا: وجوه التشابه في الأوصاف والمقامات

إذا كان القرآن سيّد الكلام (الطبرسي، مجمع البيان، ج 2، ص 361)، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام سيّد الشهداء (ابن قولويه، كامل الزيارات).

وإذا كنّا نقرأ في الصحيفة السجّاديّة حول القرآن: "وميزان القسط"، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يقول: "أُمرتُ بالقسط" (البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج 12، ص 481).

إذا كان القرآن موعظةً من الله تعالى: ﴿مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (يونس: 57)، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام يقول في عاشوراء: "لا تعجلوا حتّى أعظكم بالحقّ" (الأمين السيّد محسن، لواعج الأشجان، ص 26).

وإذا كان القرآن يهدي إلى الرشد: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ (الجن: 1)، فالإمام الحسين عليه السلام يقول: "أدعوكم إلى سبيل الرشاد" (الأمين السيّد محسن، لواعج الأشجان، ص 128).

إذا كان القرآن عظيمًا: ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر: 87)، فإنّ للإمام الحسين سوابق عظيمة: "عظيم السوابق" (المجلسي، بحار الأنوار، ج 98، ص 239).

وإذا كان القرآن حقًّا ويقينًا: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ (الحاقّة: 51)، فإنّنا نقرأ في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: "وعبدته مخلصًا حتّى أتاك اليقين" (ابن قولويه، كامل الزيارات، ص 202).

وإذا كان للقرآن مقام الشفاعة: "نِعْمَ الشفيع القرآن" (نهج الفصاحة، الجملة 662)، فللإمام الحسين مقام الشفاعة أيضًا: "وارزقني شفاعة الحسين" (زيارة عاشوراء).

وإذا كان القرآن علم نجاة – كما في الدعاء الثاني والأربعين من الصحيفة السجاديّة – فإنّ الإمام الحسين عليه السلام كان راية الهدى: "أنّه راية الهدى" (ابن قولويه، كامل الزيارات، ص 70).

وإذا كان القرآن شفاءً: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء﴾ (الإسراء: 82)، فتراب الإمام الحسين عليه السلام شفاء أيضًا: "طين قبر الحسين شفاء" (الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج 2، ص 446).

وإذا كان القرآن منار الحكمة، فالإمام الحسين باب الحكمة الإلهيّة: "السلام عليك يا باب حكمة ربّ العالمين" (القمّي، مفاتيح الجنان).

وإذا كان القرآن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر: "فالقرآن آمر وزاجر" (نهج البلاغة، الخطبة 182)، فالإمام الحسين عليه السلام قال: "أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر" (الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج 1، ص 188).

وإذا كان القرآن نورًا: ﴿نُورًا مُّبِينًا﴾ (النساء: 174)، فالإمام الحسين نورٌ أيضًا: "كنتَ نورًا في الأصلاب الشامخة" (ابن قولويه، كامل الزيارات، ص 200).

وإذا كان القرآن للناس جميعًا: "لم يجعل القرآن لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس" (القمّي، سفينة البحار، ج 2، ص 413)، فنقرأ عن الإمام الحسين عليه السلام: "لا يُدرس أثره ولا يُمحى اسمه" (المقرّم، مقتل الحسين عليه السلام).

وإذا كان القرآن كتابًا مباركًا: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ (ص: 29)، كانت شهادة الإمام الحسين عليه السلام سبب بركةٍ للإسلام: "اللهمّ بارك لي في قتله" (المقرّم، مقتل الحسين عليه السلام، نقلاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله).

وإذا كان لا يوجد أيّ اعوجاجٍ في القرآن: ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ (الزمر: 28)، نقرأ عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه "لم يمل من حقّ إلى باطل" (الكليني، فروع الكافي، ج 4، ص 561).

وإذا كان القرآن كريمًا: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (الواقعة: 77)، فالإمام الحسين كريم الخلائق (القمّي، نفس المهموم، ص 7).

وإذا كان القرآن عزيزًا: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (فصّلت: 41)، فالإمام الحسين عليه السلام قال: "هيهات منّا الذلّة" (ابن طاووس، اللهوف، ص 54).

وإذا كان القرآن العروة الوثقى: "إنّ هذا القرآن... العروة الوثقى" (المجلسي، بحار الأنوار، ج 92، ص 31)، فالإمام الحسين عليه السلام هو "سفينة النجاة والعروة الوثقى" (برتوئى از عظمت حسين، ص 6).

وإذا كان القرآن بيّنةً ودليلًا واضحًا: ﴿جَاءكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (الأنعام: 157)، فالإمام الحسين عليه السلام كان كذلك: "أشهد أنّك على بيّنة من ربّك" (الكليني، فروع الكافي، ج 4، ص 565).

وإذا كان ينبغي تلاوة القرآن بالحزن: "فاقرؤوه بالحزن" (الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج 4، ص 857)، فكذلك ينبغي زيارة الإمام الحسين عليه السلام "وأنت كئيب شعث" (ابن قولويه، كامل الزيارات).

ثانيًا: الحسين (ع) تجسيدٌ عمليّ للقرآن

من خلال هذه المقارنات، يتبيّن أنّ الإمام الحسين عليه السلام ليس مجرّد مفسّرٍ للقرآن أو داعٍ إلى العمل به، بل هو التجسيد الحيّ لمفاهيمه الكبرى. فكما أنّ القرآن ميزانٌ للهدايةً، كان الحسين ميزانًا للحقّ. وكما أنّ القرآن شفاءٌ للأرواح، كان الحسين شفاءً للقلوب. وكما أنّ القرآن لا يُمحى أثره، كذلك الحسين لا يُمحى اسمه، بل يزداد إشعاعًا وتأثيرًا مع مرور الزمن.

إنّ هذه المطابقة ليست مجرّد تشابهٍ لفظيّ أو توازٍ بيانيّ، بل هي حقيقة جوهرية: فالحسين عليه السلام هو القرآن الناطق الذي جسّد تعاليم السماء في سلوكه ومواقفه ودمه، وأثبت بفعله أنّ القرآن ليس نصًّا جامدًا يُتلى فحسب، بل مشروعٌ إلهيٌّ للحياة يجب أن يُعاش ويُضحّى من أجله.

● المبحث الخامس: توصيات العلماء والمراجع في الحضور القرآني المنبري

يُعَدّ الحضور القرآني في خطاب المنبر الحسيني من أهمّ القضايا التي أولتها المرجعيات الدينية والعلماء اهتمامًا بالغًا، إدراكًا منهم لكون القرآن الكريم هو روح الرسالة، وأساس الهداية، وأصل كلّ وعيٍ إصلاحي. وقد عبّر كبار المراجع والخطباء عن رؤيتهم لهذه المسألة من خلال توصيات وتوجيهات عملية تشكّل منهجًا واضحًا للخطباء والباحثين في كيفية الارتقاء بخطابهم المنبري.

وفيما يلي عرضٌ لأبرز هذه التوصيات كما وردت عن بعض أعلام الحوزة والمرجعية:

أولًا: توصيات آية الله العظمى السيّد علي السيستاني (حفظه الله)

يروي الشيخ ناصر رفيعي – وهو خطيب حسيني وأستاذ في الحوزة والجامعة – في إحدى الندوات العلميّة (ندوة: المنبر الحسيني.. الخصائص والأسلوب والآفات وفق النص الديني وتوصيات العلماء) تجربته الشخصية مع سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني (حفظه الله) في النجف الأشرف، فيقول:

«زرتُ آية الله العظمى السيد علي السيستاني (حفظه الله) في النجف الأشرف، ولم يكن سماحته يعرفني على ما يبدو، ولكن قد قيل له: إنّي خطيب في إيران، فغمرني بالتقدير والاحترام، ولم يكن معنا في اللقاء شخص آخر، كنت أنا وإيّاه فقط، وكان وقت الزيارة المحدّد عشرين دقيقة، ولولا ذلك لكان من المحتمل أن يستغرق اللقاء ساعة كاملة».

ويتابع: «نقل لي سماحته بعض تجاربه قائلاً: في فترةٍ ما كانت إيران ولم يكن فيها من الخطباء سوى الشيخ فلسفي، وكان العراق ولم يكن فيه سوى الدكتور الشيخ الوائلي، ونحن الآن نفتقر إلى مثل هذه المنابر. فكم من المنابر في إيران تتناول النصوص القرآنية؟ وكم منها تشتمل على تفسير الآيات القرآنية؟ وكم منها تتناول نصوصًا من نهج البلاغة؟».

ثم أردف سماحته مؤكدًا على ضرورة تصحيح هذا المسار قائلاً: «إنّني على علم بأنّ بعض المجالس تُدار بالأحلام، أو العرفان المزيّف، وكلّ هذا على خلاف ما أراده منّا أهل البيت (عليهم السلام). ينبغي أن يتحلّى المنبري بالشكل المناسب والوجه المقبول».

كما أشار السيستاني إلى أهمية الاقتداء بنماذج العلماء السابقين الذين كانوا يجعلون النصوص القرآنية والعلوية محورًا في خطابهم، فقال:«لقد كان أمثال الشيخ فاضل اللنكراني يبيّن للناس نهج البلاغة، فلا بدّ أن تنحو المنابر الآن هذا المنحى».

هذه التوصيات تكشف بوضوح عن الرؤية العميقة التي يحملها السيد السيستاني تجاه المنبر الحسيني، فهو لا يكتفي بالدعوة إلى توظيف القرآن، بل ينتقد بشدّة ظاهرة الانحراف عن النصوص الأصيلة واللجوء إلى الطروحات غير الموثوقة، ويؤكد أنّ استعادة المنبر لدوره الرسالي تمرّ عبر القرآن ونهج البلاغة.

ثانيًا: توصيات آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (حفظه الله)

يتحدّث الشيخ ناصر رفيعي عن تجربته مع سماحة السيد الخامنئي (حفظه الله) بوصفه خطيبًا وأديبًا، مشيرًا إلى أن لقاءاته به كانت دائمًا تدور حول المنبر وسبل تطويره. وقد لخّص بعض النقاط الجوهرية التي كان سماحته يؤكد عليها في مجالس خاصة وعامة:

1. التأكيد على محورية النصّ القرآني والروائي:

«قال لي سماحته ذات مرّة: إنّي أحبّ تمسكّك بمحورية النصوص، إنّك تقرأ الكثير من الآيات والنصوص الروائية، وتُجيد توظيفها وتقسيمها، هكذا ينبغي أن يكون المنبر».

ويُفهم من هذا التأكيد أنّ المنبر ليس منبر رأي شخصي أو خطابة إنشائية، بل هو خطاب علمي مؤصّل يستمدّ قوته من النصّ الشرعي في القرآن والرواية.

2. بلورة العلاقة بين القرآن والروايات في الطرح المنبري ، ويشير الشيخ رفيعي إلى موقفٍ طريف حدث معه ، فيقول :

«قبل سنتين أو ثلاثة، تزامنت ليلة الفاطمية مع الانتخابات، ولا أتذكّر جيدًا أيّ انتخابات كانت، فاخترت موضوعًا عنوانه (الانتخابات الفاطمية)؛ لأُسلّط الضوء على الخيارات التي انتخبتها الزهراء (عليها السلام) في حياتها. فبدأت بانتخابها رضا الله الخالق على رضا المخلوق... ثمّ استوفيتُ سبعة موارد أو ثمانية».

ويضيف: «في تلك الليلة قال سماحته: ما أروع هذا البحث! ثمّ تلا سبع آيات أو ثمانية، وقال: إنّ لهذه الآيات صلة بالبحث، وطلب منّي أن أُضيفها إليه».

هذا الموقف يوضح كيف يدعو السيد الخامنئي إلى دمج القرآن بالرواية في بناء المحاضرة، بحيث لا تبقى النصوص الدينية في جزر منفصلة، بل تتكامل في صناعة الفكرة والرسالة.

3. الدقّة في النقل القرآني

يشير الشيخ رفيعي أيضًا إلى موقف آخر يبرز مدى اهتمام السيد الخامنئي بالدقة في التعامل مع القرآن: «تلوت مرّة آية من آيات القرآن، فقال لي: إنّ هذه الآية تتضمّن كلمة (فيه)، ولكنّك أسقطتها. فقلت له: أتصوّر أنّها ليست من الآية. فنادى سماحته صبيًّا وطلب منه أن يحضر مصحفًا، ففتحه باحثًا عن سورة الشورى الآية الثالثة عشرة، ثمّ قال: أُنظر: ﴿أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾، وأضاف: إنّك فسّرت الآية من دون لفظ (فيه)، وتفسيرها مع هذه الكلمة يختلف عن تفسيرها مجرّدة منها، فكلمة (فيه) تعود إلى الدين، وهذا مطلب مهمّ».

تُظهر هذه الحادثة مدى دقّة المرجعية في متابعة التفاصيل، وأنّ التعامل مع القرآن يتطلب أمانةً علمية فائقة.

ثالثًا: توصيات آية الله الشيخ نوري الهمداني (حفظه الله)

وفي سياقٍ مشابه، ينقل الشيخ رفيعي تجربته مع آية الله الشيخ نوري الهمداني (حفظه الله) في لقاءٍ خاصّ دام نحو عشرين دقيقة، تحدّث فيه سماحته عن بعض الملاحظات المهمة للخطباء.

يقول الشيخ رفيعي: «قال لي سماحته: كنت أنا والشيخ فلسفي نرتقي المنبر في مدينة طهران، وكنت أحضر مجلسه ويحضر مجلسي، ولم أكن أُبدي تجاه مجالسه أيّ ملاحظة، فقد كان خطيبًا كبيرًا قلّما يستطيع شخص أن يوجّه إليه نقدًا، ولكنّني كنت أتعمّد أن أطلب منه انتقاد مجالسي. وذات يوم بعدما ترجّلنا من سيارته ونحن في طريقنا إلى منبره، قلت له: كيف كان مجلسي؟».

ويتابع: «فقال لي: لم يكن جيّداً. فقلت: لماذا ذلك وقد قرأت كلّ تلك الآيات والروايات؟! فقال: إنّ مَثَلَ مجلسك كشخص يضع ثلاثة كيلو جرامات من اللحم في مقلاة ويضع عليها غطاءها بلا ماء ولا موادّ أُخرى، فمثل هذا اللحم لا ينضج؛ لأنّ نسبة اللحم كبيرة جدّاً، فلا ينبغي تكديس هذا الحجم من الآيات والروايات، فإنّ الإكثار من الروايات بعضها ردف بعض يُربك المخاطب، فلا ينبغي أن تتجاوز نسبة الآيات والروايات في المجلس الثلاثين بالمائة، أمّا النسبة المتبقّية فللشرح والتعليق وتنظيم النصوص وتقسيمها».

هذه الملاحظة البليغة تلخّص تجربة طويلة في المنبر الحسيني، وتؤكد أنّ كثرة النصوص دون تحليلٍ وشرحٍ وتبويبٍ علميّ قد تضعف الأثر التربوي والفكري للخطاب.

■ خلاصة المبحث : من خلال هذه التوصيات يمكننا استنتاج عدد من المبادئ الأساسية التي يجب أن يلتزم بها الخطيب الحسيني في تعامله مع القرآن الكريم في خطابه المنبري:

1. **جعل القرآن والنصّ الروائي محورًا في بناء الفكرة لا مجرد زينة لفظية.**
2. **بلورة التكامل بين الآيات والروايات في تشكيل الفكرة الرئيسية.**
3. **الدقة في النقل القرآني وعدم التساهل في الألفاظ والتراكيب.**
4. **تجنّب الإفراط في الإكثار من النصوص دون تحليل أو تنظيم.**

وبذلك يتضح أنّ المرجعية الدينية لا ترى الحضور القرآني خيارًا ثانويًا، بل شرطًا أصيلًا في المنبر الحسيني، ووسيلةً لا غنى عنها لتحقيق رسالته في الهداية والإصلاح.

⚫ المبحث السادس: ضوابط التعامل مع القرآن في المنبر الحسيني

إنّ التعامل مع النصّ القرآني في المنبر الحسيني ليس مجرّد عملٍ خطابيٍّ عابر، بل هو مسؤولية علمية ورسالية تقتضي من الخطيب إدراكًا عميقًا لطبيعة القرآن، ووعيًا بمنهجيّات تفسيره وتوظيفه في الخطاب الديني. فالقرآن الكريم ليس نصًّا بشريًا يُتناوَل بلا ضوابط، بل هو وحيٌ إلهيّ يتضمّن مستوياتٍ متعدّدة من المعنى، ويحتاج إلى أدواتٍ معرفيّة رصينة لفهمه واستنطاقه. ومن هنا تأتي أهمية وضع أُطُرٍ وقواعد للتعامل معه في المنبر، تحفظ هيبته، وتُبقي توظيفه في المسار الصحيح الذي ينسجم مع هدفه الأساس: الهداية.

أولًا: ضرورة التمييز بين مستويات التعامل مع القرآن

من الأخطاء الشائعة أن يتعامل بعض الخطباء مع النصّ القرآني وكأنّه مادةٌ واحدة تُفسَّر بأسلوبٍ واحد، في حين أن للقرآن مستوياتٍ عدّة من التناول، ولكلٍّ منها منهجٌ خاص.

1. المستوى التفسيري العلمي : وهو ما يتعلّق ببيان معاني الألفاظ، وتوضيح السياق التاريخي للنزول، واستظهار دلالات النصّ بدقّة ، وهذا المستوى يتطلّب تخصّصًا علميًا ودراسةً معمّقة في علوم القرآن والتفسير واللغة وأسباب النزول. ومن غير اللائق بالخطيب أن يخوض فيه بغير أدواته، إذ قد يوقع نفسه في الخطأ أو التأويل البعيد عن مراد الله تعالى.

2. المستوى الوعظي والتربوي : وهو ما يتعلّق باستخراج الدروس الأخلاقية والعبر السلوكية من الآيات، وربطها بواقع الناس وحياتهم. وهذا المستوى هو

الأنسب لمنبر الوعظ، ولا يشترط فيه التبحّر في علوم القرآن بقدر ما يشترط الفهم الصحيح لمقاصده العامة وتوظيفها في البناء التربوي والإصلاحي.

3. المستوى التدبّري : وهو الغوص في المعاني العميقة والسنن الإلهية الكامنة في الآيات، واستنطاقها بما يخاطب الواقع المعاصر. وقد حثّ القرآن نفسه على هذا النوع من التفاعل، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: 24).

وهذا المستوى يفتح للخطيب آفاقًا رحبة في توظيف النصّ القرآني في الإصلاح الفكري والاجتماعي ، لكن بشرط أن يكون الخطيب متوفراً على أدوات التدبر من خلال الدراسة التخصصية .

ثانيًا: الحذر من الإفراط في التفسير العلمي والإعجازي

من الأخطاء التي تقع فيها بعض منابر الخطاب الديني المعاصر الإسراف في تحميل الآيات ما لا تحتمل، فيسعون إلى استخراج كلّ الحقائق العلمية المعاصرة منها، أو يربطونها بالنظريات الحديثة ربطًا مباشرًا دون تثبّت. وهذه المنهجية قد تؤدّي إلى نتائج عكسية، خصوصًا إذا تغيّرت النظريات أو ثبت خطؤها.

وقد نبّه العلماء إلى ذلك، ومنهم العلّامة الطباطبائي الذي أكّد في الميزان أنّ القرآن «كتاب هداية»، وأن أيّ معنى لا يخدم هذا الغرض يُعدّ صرفًا للنصّ عن وجهته. وعليه، ينبغي للخطيب أن ينظر إلى ما يسمّى بـ «الإعجاز العلمي» لا بوصفه غايةً قائمةً بذاتها، بل بوصفه وسيلةً مساعدةً على الهداية وترسيخ الإيمان، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصّلت: 53).

ثالثًا: الالتزام بالسياق وعدم اقتطاع الآيات من مواضعها

من أخطر ما يواجه الخطاب المنبري أن تُستَخدَم الآيات في غير سياقها أو تُجزّأ عن مضمونها الكليّ لتخدم فكرةً عارضة أو موقفًا وقتيًا. فالآية القرآنية كيانٌ دلاليٌّ مترابط لا يجوز بتره أو تحريفه عن مقصده.

وقد حذّر المفسّرون من «التفسير التجزيئي» الذي يبتعد عن روح النصّ، وأوصوا بـ«التفسير الموضوعي» الذي ينظر إلى الآية في سياقها التاريخي واللغوي والموضوعي.

فمثلًا، لا يمكن أن يُستشهد آيات الجهاد في غير موضعها لتبرير العنف، أو تُقرأ آيات الرحمة خارج سياقها لتبرير التساهل المطلق، بل يجب النظر إلى المجموع القرآني ككلّ متكامل يوازن بين القيم ويقدّم الصورة الشاملة للمنهج الإلهي.

رابعًا: تقديم القرآن على الرأي الشخصي والخطاب الموروث

على الخطيب أن يتذكّر دائمًا أنّ القرآن هو «المرجعية العليا» في كلّ خطابٍ منبريّ، وأنّ أيّ رأي أو تحليل لا ينسجم مع مبادئه الكلية ومقاصده العليا لا قيمة له في ميزان الرسالة. وقد قال الإمام علي عليه السلام: «اعرضوا أقوالي على كتاب الله، فما وافقه فخذوه، وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط» (نهج البلاغة، الحكمة 312).

وهذا يعني أن الخطيب مسؤول عن تنقية خطابه من الموروث غير المنقَّح، والتقاليد التي لا أصل لها، والآراء التي تصطدم بروح القرآن، وأن يجعل من النصّ القرآني مرجعًا أعلى يوجّه تفكيره ويضبط مسار بيانه.

خامسًا: ربط النص القرآني بالواقع دون تسطيح

من ضوابط التعامل مع القرآن أن لا يُكتفى بقراءته قراءةً تجريدية بعيدة عن الواقع، بل يجب على الخطيب أن يربطه بهموم الناس وأسئلتهم المعاصرة. غير أنّ هذا الربط ينبغي أن يكون عميقًا ومنهجيًّا، بعيدًا عن التسطيح أو الإقحام القسري.

فحين تُقرأ آيات العدالة مثلًا، ينبغي أن تُربط بمفاهيم العدالة الاجتماعية والسياسية في الواقع المعاصر، وحين تُتلى آيات الأمر بالمعروف، يجب أن تُعرض ضمن رؤيةٍ شاملة لإصلاح المجتمع، لا بوصفها شعارات مجرّدة.

سادسًا: الموازنة بين النصّ القرآني والرواية الشريفة

وأخيرًا، لا بدّ أن يعي الخطيب أن القرآن الكريم لا ينفكّ عن السنّة المطهّرة في بناء الوعي، وأنّ الجمع بينهما في الخطاب المنبري يزيده قوةً وعمقًا. فالسنّة – قولًا وفعلًا وتقريرًا – هي البيان التطبيقي للقرآن، والروايات الواردة عن النبيّ وأهل بيته (عليهم السلام) هي التفسير العملي لمعانيه.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الله أنزل في القرآن تبيان كل شيء، حتى والله ما ترك الله شيئًا يحتاج إليه العباد إلا بيّنه في كتابه» (الكافي، ج 1، ص 59).

فالموازنة بين النصّين تجعل الخطاب متكاملًا، فلا يقتصر على التلاوة المجردة ولا يغرق في الرواية المنفصلة عن أصلها.

■ خلاصة المبحث : إنّ الضوابط التي تحكم التعامل مع القرآن في المنبر الحسيني تمثّل صمامات الأمان لسلامة الخطاب الديني وفاعليته. فالتفريق بين مستويات التناول، والابتعاد عن الإفراط في التفسير العلمي، والالتزام بالسياق، وتقديم القرآن على الرأي، وربطه بالواقع، والموازنة بينه وبين الرواية، كلّها شروط تجعل المنبر الحسيني منبرًا قرآنيًا رصينًا ينهل من الوحي مباشرةً ويقود الأمة نحو الوعي والبصيرة.

● المبحث السابع: التفسير التربوي – التفسير الذي يخاطب الإنسان والمجتمع

من بين الاتجاهات التفسيرية المعاصرة، يبرز التفسير التربويّ بوصفه من أهمّ الأنواع التي تستوعب حاجات الناس وتلامس واقعهم، فهو تفسيرٌ ينفذ إلى عمق الإنسان ليبني فيه الوعي والضمير والسلوك. إنه لا يقتصر على شرح الألفاظ وبيان المعاني اللغوية، ولا يتوقف عند حدّ الأحكام الفقهية، بل يسعى إلى صناعة الإنسان القرآنيّ في فكره ومشاعره وعلاقاته. ومن هنا كانت الحاجة إليه ماسّةً على المنبر الحسينيّ، لأنّ المنبر ليس مجرّد منبر بيانٍ علمي، بل هو ميدانُ تربيةٍ وتهذيبٍ وتوجيهٍ روحيٍّ للمجتمع.

وقد سبقت الإشارة في مطلع هذه الورقة إلى أن العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي يرى - في الميزان - أنّ القرآن كتاب "هدايةٍ" لا "لغةٍ"، وأنّ الغاية من التفسير هي الوصول بالإنسان إلى الطريق المستقيم لا مجرد بيان المفردات والأحكام. أما تفسير الأمثل فيؤكد هذا البُعد، إذ يصف القرآن بأنه "منهجٌ متكامل للحياة"، يقدّم للإنسان تربيةً عقليةً وروحيةً وأخلاقيةً واجتماعيةً في آنٍ واحد.

ومن هذا المنطلق، فإنّ التفسير التربويّ لا يُعنى بتكديس المعارف، بل بتوجيهها نحو بناء شخصيةٍ متوازنةٍ تسهم في إصلاح ذاتها ومجتمعها.

أولًا: تربية المنهج العقلي

من أبرز أهداف القرآن تربيةُ الإنسان على التفكير السليم والنظر الواعي، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]؛ ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١١١].

وفي تفسير الأمثل: «القرآن يدعو إلى إعمال الفكر والتأمل في آيات الله وفي الكون، ليصل الإنسان إلى الإيمان عن وعيٍ وبصيرةٍ لا عن تقليدٍ أعمى».

ثانيًا: تربية الحوار

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وفي الأمثل: «الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن تدرّج تربوي يبدأ بالعقل ثم الوجدان ثم الجدال المؤدب، لأن الغاية هي الهداية لا الغلبة».

ثالثًا: تربية العلاقات الاجتماعية

﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ... وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١]؛ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وفي الأمثل: «هذه الآيات تؤسس لمجتمع مهذّب في اللسان والعلاقة؛ الكرامة الإنسانية فوق كل اعتبار».

رابعًا: تربية الذوق والحياء الاجتماعي

﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ...﴾ [الأحزاب: ٥٣]؛ ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩].

وفي الأمثل: «الآيتان تعلّمان أدب التعامل: لا دخول بغير إذن، ولا رفعًا للصوت بما يجرح الذوق العام؛ فالتهذيب ركن من أركان الإيمان».

خامسًا: التفسير التربوي واستثمار المنبر في مواجهة التحديات المعاصرة

إنّ من أجمل ما يمكن أن يتّجه إليه الخطاب المنبري هو أن يستلهم من التفسير التربوي رؤيةً متجددة تُفعِّل حضوره في مواجهة التحديات الفكرية والاجتماعية الراهنة. فالعصر الذي نعيش فيه يفرض على الخطاب الحسيني أن يواكب قضايا الشباب، ويكون شريكًا في بناء وعيهم، إذ تمثل هذه الفئة القلب النابض لمستقبل الأمة، والهدف الأكبر في معركة الوعي والتغريب. ومن هنا فإنّ استحضار هموم الجيل ومشكلاته في ضوء القرآن والعترة يُعدّ خطوةً جوهريةً في بناء المناعة الثقافية والإيمانية للمجتمع.

ولعلّ إدماج التفسير التربوي في بنية الخطاب العاشورائي يمنح المنبر أفقًا أوسع في تربية الجيل على قيم الوعي والالتزام، فيكون القرآن ركيزةً تربويةً لبناء الشخصية الرسالية، التي تواجه تحديات العصر بإيمانٍ راسخٍ وفكرٍ مستنير. وبهذا

يغدو المنبر الحسيني مشروعًا تربويًّا قرآنيًّا يشارك في صناعة وعي الأمة وصيانة هويتها الإيمانية.

■ سؤالٌ مطروح : ألا يتنافى ترجيح «التفسير التربويّ» مع أهمية اتجاهات تفسيرية أخرى كـ «التفسير العقائديّ»؟

الجواب: إنّ مفهومَ التربية في الرؤية القرآنية لا يقتصر على البُعد الأخلاقيّ وحده، بل هو أوسع مدى وأعمق مضمونًا، إذ يمتدّ ليشمل بناء الإنسان في فكره وإيمانه ووجدانه وسلوكه. ومن يراجعُ المؤلفات التربوية يجد أنّ أصحابها لم يحصروا حديثهم في الجانب الأخلاقيّ فحسب، بل توسّعوا في تناولهم للتربية لتشملَ أبعادًا أخرى كالعقيدة، والعقل، والمجتمع، والذوق، وسائر ما يتصل بتكوين الشخصية الإنسانية المتكاملة.

وعلى هذا الأساس، يتّضح أنّ التفسير التربويّ يضمّ التربية العقائدية في نطاقه، بمعنى بناء الشخصية المسلمة على العقيدة الحقّة بأسسٍ متينةٍ وركائزَ قوية، بما يُنتجُ إنسانًا محصَّنًا على المستوى العقائديّ، ثابتَ الإيمان أمام موجات الانحراف والشبهات. فالعقيدة في جوهرها ليست مجرد فكرةٍ نظريةٍ جامدة، بل هي عمليةٌ تربيةٍ روحيةٍ وسلوكيةٍ تُهذِّبُ النفس وتوجّه السلوك وتربطُ الإنسانَ بخالقه ربطًا واعيًا ومسؤولًا، كما قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

خاتمة المبحث

إنّ التفسير التربويّ هو التفسير الذي يُعيد للقرآن حضوره الفاعل في حياة الناس، ويجعل من المنبر الحسيني ميدانًا لصياغة النفوس على الهدى القرآنيّ، فيغدو الخطاب المنبريّ وسيلةً لبناء الإنسان الرساليّ القويّ في فكره وإيمانه وسلوكه. ومن خلال إدماج البعد التربوي في الخطاب الحسيني، يمكن للأمة أن تحصّن شبابها،

وتوجّه طاقاتهم نحو القيم الحسينية الراسخة، ليبقى المنبر صرحًا تربويًّا وإيمانيًّا يربط بين القرآن والحياة، ويواكب حركة العصر دون أن يفقد أصالته أو رسالته.

● المبحث الثامن : نتائج المسح الإحصائي حول البعد القرآني في خطاب المنبر الحسيني – موسم عاشوراء 1447هـ

أجرت لجنة الإحصاء والتحليل في برنامج آفاق التميّز – وهو برنامجٌ متخصص في مجال تنمية الشباب، وله عددٌ من المشاريع والإنجازات البارزة في دعم المبادرات الثقافية والمعرفية – دراسةً ميدانية موسَّعة بعنوان «إحصائيات من عاشوراء البحرين 1447هـ – البعد القرآني». هدفت الدراسة إلى رصد مستوى حضور القرآن الكريم في الخطاب المنبري، وتحليل أنماط توظيفه ومجالات توجيهه داخل المجالس الحسينية.

وقد شمل المسح (40) خطيبًا و(426) مجلسًا موزّعة على مختلف مناطق البحرين، وفق منهجٍ وصفيٍّ تحليلي اعتمد مبدأ درجة الحضور، الذي يقيس مدى تكرار الإشارات القرآنية وتخصيص الخطيب لمحورٍ أو مجلسٍ كامل لأحد الأبعاد المدروسة.

أظهرت نتائج الدراسة أن البعد القرآني حَظيَ بنسبة حضور بلغت 34% من مجموع المجالس الممسوحة، وتوزّعت درجات الحضور على النحو الآتي:

الدرجة الأولى (إشارات متكرّرة): 18.8%

الدرجة الثانية (محور أساسي): 12.4%

الدرجة الثالثة (محور كامل أو أغلب المجلس): 2.82%

وبيّنت النتائج أنّ أبرز العناوين القرآنية التي تناولها الخطباء تمثّلت في علوم القرآن ومبادئه، وبحوث موضوعية في المفاهيم القرآنية، واهتداء بالقرآن الكريم (تفسير

جزئي)، مع تنوّعٍ في الأبعاد المعرفية والعقائدية والأخلاقية والتاريخية والتشريعية والاجتماعية. ومن أبرز الموضوعات التي طُرحت: فلسفة الابتلاء، والتمكين الإلهي، والقصص القرآني، ودعوة القرآن إلى المساواة ونبذ التكبر، وتنظيم العلاقات الزوجية في ضوء الآيات الكريمة.

وتُظهر هذه النتائج أنّ الخطاب المنبري في البحرين يشهد اتجاهًا متصاعدًا نحو تفعيل الحضور القرآني، وإنْ تفاوتت مستوياته بين الخطباء والمناطق، الأمر الذي يدعو إلى مزيدٍ من العناية العلمية لترسيخ المنهج القرآني بوصفه محورًا أصيلًا في بناء الوعي الديني والثقافي عبر المنبر الحسيني.

⚫توصيات وتمنيات لتفعيل الحضور القرآني في الطرح المنبري

🟢أولًا: في الجانب الكمي

■ **يُتمنّى أن تتّسع مساحة الحضور القرآني في الخطاب المنبري، سواء من حيث عدد الخطباء الذين يوظّفون الآيات في خطبهم، أو من حيث تنوّع الموضوعات التي تُستمد من القرآن الكريم مباشرة.**

■ **من المفيد أن تتبنّى المؤسّسات الدينية واللجان المنبرية برامجَ إحصائية لرصد وتوثيق هذا الحضور، لتكون المعطيات أساسًا لتقويمٍ موضوعيٍّ ومستمر.**

🟢 ثانيًا: في الجانب الكيفي

■ **يُستحسن تعزيز البعد التخصّصي في توظيف القرآن على المنبر، من خلال تشجيع الخطباء على دراسة المناهج التفسيرية وطرائق تناول المفاهيم القرآنية.**

■ **ويُثمَّن حضور التجارب المنبرية التي جعلت للقرآن موقعًا محوريًا في خطابها، إذ يُرجى توسيع هذا النمط من الطرح ليشمل طيفًا أوسع من الخطباء والباحثين، ولا سيما من الجيل الشاب.**

🟢 ثالثًا: في تعزيز مقومات الحضور الكيفي للطرح القرآني

■ **يُقترَح زيادة الاهتمام القرآني في برامج الحوزات العلمية البحرانية، بحيث يكون للقرآن حضورٌ دراسيٌّ موازٍ لدروس الفقه والأصول، بما يعزّز تكوينًا علميًا متكاملًا لدى طلبة العلم.**

■ من المفيد الاستفادة من التجارب الناجحة في بعض الحوزات القرآنية خارج البحرين، كالنماذج التي خرّجت مجموعةً من العلماء المتفرغين للدراسة القرآنية، وهو ما يمكن أن يُستلهم في تطوير البيئة التعليمية المحلية.

🟢 رابعًا: في ضبط الطرح القرآني على المنبر

■ يُؤمَل أن يُراعى في تفسير الآيات وتوظيفها على المنبر منهجُ الانضباط العلمي، بالاستناد إلى قواعد التفسير المعتبرة وأقوال المفسرين الراسخين، مع الحذر من التفسيرات الارتجالية أو الخارجة عن الأصول العلمية.

■ كما يُستحسن أن تُعقد دورات تأهيلية متخصصة للخطباء في مجال التفسير المنبري، لضمان التوازن بين العمق العلمي والأسلوب البياني الجاذب.

■ وفي الوقت نفسه، يُؤكَّد على ضرورة صيانة المنبر من التوظيف غير المنضبط للآيات، وهو ما لوحظ في بعض البيئات المنبرية خارج البلاد، مما يوجب التنبه والتقويم المستمر.

🟦 الخاتمة (مختصر الورقة)

بعد هذا العرض المتكامل يتّضح أنّ العلاقة بين القرآن الكريم والمنبر الحسيني ليست علاقة تزيينية أو شكلية، بل هي علاقة جوهرية تمسّ رسالة المنبر في أصلها وغايتها. فالقرآن – بوصفه كتاب الهداية الإلهي بمعيَّة العترة الطاهرة للنبي صلى الله عليه وآله – يقدّم المبادئ الكبرى التي تهدي الإنسان إلى الصراط المستقيم، والمنبر الحسيني – بوصفه الامتداد الحي لصوت الرسالة – يجسّد هذه المبادئ في الواقع الاجتماعي والثقافي، فيحوّلها من مفاهيم إلى مواقف، ومن نصوص إلى مشاريع إصلاح.

لقد مرّ المنبر الحسيني عبر التاريخ بتحوّلات مهمّة، انتقل فيها من منبر الرثاء والعاطفة الخالصة إلى منبر التثقيف والبصيرة، وكان من أبرز معالم هذا التطوّر إدخال نهج البلاغة والقرآن الكريم في صميم بنيته الخطابية على يد روّاد كبار كالشيخ كاظم السبتي والشيخ أحمد الوائلي، ممّا جعل المنبر أداة فاعلة في بناء الوعي وتحصين المجتمع.

كما أكّدت توصيات المراجع العظام على ضرورة جعل النصّ القرآني محورًا في الخطاب المنبري، والدقّة في نقله وتفسيره، وتجنّب الإغراق في الرواية دون تحليل، فضلًا عن ضرورة الموازنة بين النصّين القرآني والروائي.

وإذا كان الإمام الحسين عليه السلام قد مثّل «القرآن الناطق» الذي تجسّد فيه كلام الله في مواقفه ونهضته وشهادته، فإنّ المنبر الحسيني الذي يحمل اسمه يجب أن يكون «صوت القرآن» في حياة الناس: يفسّر آياته، ويستخرج سننه، ويطبّق مبادئه في معالجة قضايا العصر وتحدّياته.

إنّ المنبر الحسيني لا يفقد عاطفته ولا يستهين بالدمعة التي تمثّل أصله وعمقه الروحي، لكنه يصبح أكثر كمالًا وفاعلية حين يمتزج فيه البيان القرآني بـ الرواية المعصومية، وحين يتحوّل من مجرّد ناقلٍ للنصّ إلى صانعٍ للوعي، ومن حافظٍ للتراث إلى باعثٍ للحياة في ضمير الأُمّة.

وبذلك يظلّ المنبر الحسيني منبرًا للهداية والنهضة، ومنارًا للبصيرة والإصلاح، وركيزةً أساسية في مشروع الإسلام الحضاري الذي يبدأ بـ ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (إبراهيم: 1)، ويتجلّى في صرخة الحسين عليه السلام: «أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر».

☐ المراجع والمصادر

تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي.

تفسير الأمثل لآية الله مكارم .

ندوة للشيخ ناصر رفيعي .

مقالة للشيخ محسن قراءتي.

تقرير : إحصائيات من عاشوراء البحرين لعام ١٤٤٧ - البعد القرآني ، من إصدار برنامج آفاق التميز.

كتاب دروس في بناء المجلس الحسيني ، من إصدار معهد سيد الشهداء (ع).

حُرِّرت في يوم الثلاثاء ، ٢١ ربيع الثاني لعام ١٤٤٧ هـ ، الموافق للرابع عشر من أكتوبر لعام ٢٠٢٥م.

إعداد : عبدعلي عبدالحسين آل ضيف